تحليل قصة الخيــمة
قصة قصيرة للدكتور محمد أيوب

نص القصة

طويل ، طويل ، كان الطابور المنتظر ، أطول من درب الآلام الذي سار عليه ، كان الرجال ينتظرون والقلق يطل من عيونهم ، والطابور لا ينقص ، وعدد الخيام في تناقص مستمر، درب الآلام طويل ، وهو ينتظر دوره على الدرب الذي لا نهاية له، الرجال من أمامه ومن خلفه قلقون، كل واحد ينتظر دوره، وهو يشعر أن أطفاله الخمسة يتعلقون بأطراف ملابسه، يود لو يختطف لهم خيمة، أية خيمة ، ويعود سريعاً، يصد الريح عنهم ، لكن الرجال كل الرجال ، يتعلق أطفالهم بهم كما يتعلق أطفاله بأطراف ملابسه، وينتظر، ترى: كيف ستكون الخيمة؟ كوخ ؟ رائعة، جنزير؟ أروع ، أبو حسن تسلم خيمة جنزير ، رائعة كأنها صالون ، لكنها لن تقي أطفاله الخمسة شر البرد ، خيمة الكوخ لا بأس بها ، مستطيلة يستطيع أن يقسمها إلى قسمين بواسطة بطانية ، سيكون أحد القسمين مطبخاً تـعد فيه زوجته الطعام ويستحمون فيه ، بينما ينام الأطفال في القسم الآخر ، خيمة الكوخ ستكون رائعة ، متواضعة بلا شك ، ولكن .. لأتخيل أنني في رحلة إلى روبـين .. أكانت الخيمة عندئذ بداية درب آلامنا ؟ أم كانت مرحلة إعداد لنا لنتمكن من العيش فوق رمال خان يونس ؟ لكنا يا روبين النبي لا نجد الماء هنا ولا الهواء .. رياح غبراء أيها النبي ، محملة بالغبار وحبيبات الرمال التي تملأ العيون فتقذيها ، على أية ، أيها النبي ، أن يكون للإنسان خيمة أفضل من العراء ، أفضل من السماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق ؟ الخيمة الكوخ رائعة ، وسيساعدني أبو حسن كما ساعدته ، كما إن الجيران وعدوا بالمساعدة ، ستتحول الرمال إلى مزرعة خيام ، معرض خيام متنوعة الأشكال والأحجام ، روبـين يا بداية درب الآلام ، هأنذا على الدرب أسير ، والدرب طويل ، والطابور لا ينتهي ، ستنتـهي الخيام ولن ينتـهي الدرب ربما قالوا تعال غداً كما قالوا بالأمس ، أبـو حسن ظل أسبـوعاً حتى استطاع أن يتسلم خيمته ، كل تأخيرة فيها خيرة، قالها أبو بارتياح بعد أن تسلم خيمته الجنزير، أطفاله العشرة وأمه وأخوته سينامون بلا حواجز ، لن يستطيع تقسيم الخيـمة ، الخيمة الكوخ أسهل للقسمة ، بطانية واحدة ويتم المطلوب ، والرحلة على درب الآلام لن تطول ، قالوا لنا سبعة أيام أو سبعة أسابيع أو سبعة شهور ، ولما تنته الشهور السبعة بعد ، ربما اختصرت الشهور السبعة درب الآلام هذا ؛ فيـكون روبين نبياً حقاً ، ويكون نهاية درب الآلام كما كان بدايته .. سبعة أيام أو سبعة أسابيع أو سبعة شهور أو .. ووقف شعر رأسه ، أو .. وتعثر لسانه ، بصق على الأرض كمن يطرد خاطراً مزعجاً من مخيلته .. أو سبعة أعوام ، أحس بانقباض .. سبعة أعوام هنا ، فوق هذه الرمال اللعينة ، لعنة الله على روبـين وعلى رمال روبين ، ليتنا بقينا نغوص في رمال أرضنا إلى الأبـد ، طين الأرض أفضل من ذقن روبين ورمال روبين ، سبع سنوات فوق هذه الرمال .. مستحيل .. مستحيل أن نبقى هنا سبع سنوات، والوعود، والأيام والأسابيع والشهور، والأعوام اللعينة .
تطلع من جديد إلى الطابور الطويل ، لا يبـدو أن هذا الطابـور اللعين سينتهي ، الخيام تتسرب خيمة خيمة ، وهو يحس بالقلق ، تلاحقه خشيته من تكرار أمسه في يومه ، يا روبين النبي ، سئمت كل الرمال من أجل رمال خان يونس ، حتى رمالك أيها النبي .. أيها النبي : هل هذا هو الطريق الصحيح ؟ هل هذا هو الحل ؟ وهل يأتي الحل من هذا الطابور وتلك الكومة من الخيام ؟ وهل تصبح الخيمة هي البديل الدائم للبيارة والدار ؟ ستكون الخيمة كوخاً بلا شك ، لا أريد خيمة الجنزير فهي أكبر مما نحتاج إليه ، والخيمة الجرس ؟ ماذا لو كانت من نصيبي ؟ ستكون أضيق من أن تتسع لنا ، لن يكون لنا مطبخ ، ولن استطيع ان أقتنص خلوة ولو قصيرة .
الطابور يتناقص ، والخيام تتناقص ، الشيء الوحيـد الذي يتزايد باطراد هو طنين أفكاره وذيول هواجسه ، والخيام ، وما أدراك ما الخيام ؟ هل تستـطيع هذه الخيام أن تصمد فوق هذه الرمال دون ساتر من شجر أو غيره ؟ وهل تستطيع هذه الخيام أن تقاوم جموح الرياح ؟ وهل .. وهل .. ألف هل حائرة في ذهنـه تبـحث عن جواب ولا جواب ! هل يمكن أن تستر هذه الخيام عورتنـا ؟ وهل تستطيع أن تحفظ علينا إنسانيتنا ؟ وهل تأتينا ريح عاتية صرصر تقتلع خيامنا كما اقتلعت خيام مشركي مكة ؟ هل أصبحنا مشركي العصر الحاضر حتى يحدث لنا ما حدث ؟ والطابور؟ درب الآلام يقصر ويطول .. يقصر حتى تظن أنه قد ينتهي، ولا يلبث أن يعود فيطول وكأنه لا نهاية له ، الرجال يهرولون واحداً وراء الآخر .. تعلو أكتافهم الخيام رزينة هادئة ، تعلو الخيام أكتافهم باعتزاز من يهبهم شيئاً ، متى ستمتطي خيمتي كتفي أو حتى ظهري ؟ سئمنا هذا العراء ، سئمنا التحاف السماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق ؟ كنا نحب التحاف السماء حين كنا ننام تحتها بإرادتنا ، أما الآن فأية سماء هذه التي تجبرنا على النوم تحتها باستمرار ؟ لو أن الدنيا لم تكن صيفاً لكان الحال غير الحال .
- وحد الله يا " أبو علي "
لكزه أبو مصطفى في كتفه فأفاق فجأة ، ابتسم ولم يتفوه بكلمة .
أردف أبو مصطفى :
- ستأخذ خيمتك اليوم بلا شك ، فقد اقترب دورك .
أطلق تنهيدة عميقة ، كان يشرف على تعبئة البرتقال ، وكانت السيارة تنتظر في طابور طويل ، تنتظر الصناديق لتشحنها إلى ميناء يافا ، لكن الانتظار ، كان الانتظار له معنى ، لكن الانتظار الآن لا لون له ولا طعم ولا رائحة .. فيه مهانة وفيه استجداء ، فهل هذا هو الطريق ؟ وهل هذه هي الوسيلة لإنهاء درب الآلام ؟ ملعون أبو كل جواب غير شاف ، كل جواب لا ينير درب الآلام الطويل ، طويل .. طويل يا درب الآلام ، أطول من هذا الطابور ، أطول من هذا العمر أخالك يا دربي ، يا درب الآلام ، ولكني سأسير ، سأدوس عليك يا دربي ، أسحقك .. أسحقك كما تسحقني ، لن أتسلم الخيمة يا دربي ، لن أحمل الخيمة مهما كرمت ، والأولاد ؟ سيكبرون .. سيكونون نباتات برية .. النبتة أقوى بلا رعاية ، فليتحول الأطفال نباتات برية تنتزع حياتها من منعطفات درب الآلام ، هزه صوت الموزع:
- حسن الحاج علي .
تقدم ببـطء ، نظر ببله إلى كومة الخيام ، لم يستطع أن يفهم شيئاً ، كان حـاضراً غائباً ، أفاق على صوت الموزع :
- الأسرة سبعة أفراد ، خيمة جرس .
تمتم بصوت مسموع :
- ملعون ...
ولكنه ابتلع كلماته ولم يكمل ، كانت آخر خيمة جرس في الكومة ، لم تبـق إلا خيـام البراشوت الصغيرة ، سيستر الأولاد ولو بخيمة جرس قبل أن يعـود إلى الأرض...

التحليل

قبل أن أبدأ بتحليل عناصر القصة الرئيسية أود أن أشير إلى المغزى أو الفكرة من وراء تلك القصة .
حدثت نكبة فلسطين عم 1948 وتهجر على إثرها الفلسطينيون إلى الضفة وغزة والشتات العربي والعالمي وكان لديهم أمل بان يعودوا ثانية إلى موطنهم ذلك الأمل الذي انبعث لديهم من خلال الوعودات العربية الكاذبة لهم بأن ما حدث أمر مؤقت وسوف يعود كل واحد إلى منزله قريبا .
يصور لنا الكاتب المعاناة التي لحقت بالشعب الفلسطيني والتي تلت الهجرة من فلسطين عام 1948 لا مأوى لا مكان يجمعهم حتى الطعام والشراب يصلون إليه بعد جهد ومعاناة هذه الصورة التي رسمها لنا الكاتب كانت من خلال مشهد بسيط وهو طابور الانتظار الذي يجمع الفلسطينيين للحصول على خيام تأويهم بدلا من أن تأويهم السماء بلا فاصل في حين كان العرب نيام في قصور عريقة لا يحركون ساكنا سوى وعودهم الكاذبة .
وقد نجح الكاتب أيما نجاح في توضيح معاناة شعبه بعد تلك النكبة من خلال هذه القصة القصيرة.
وإذا انتقلنا إلى تحليل عناصر القصة الرئيسية في هذه القصة سنجدها واضحة تماما وقد استطاع الكاتب أن يوظفها توظيفا خاصا لخدمة المغزى أو الفكرة العامة والعناصر الرئيسية للقصة هي :
1- الشخصيات 2- الحبكة 3- الزمان والمكان - وجهة نظر الراوي .

أولا / الشخصيات :-
تشتمل هذه القصة القصيرة على أربعة شخصيات وهي :
أ- حسن الحاج على (أبو علي)
ب- أبو حسن
ج- أبو مصطفى
د- الموزع
وسنتناول هذه الشخصيات واحدة تلو الأخرى على العلم أن شخصية أبو علي ستكون الأكثر
بحثا .
1- شخصية حسن الحاج علي : تقوم معظم أحداث القصة على هذه الشخصية فهي الشخصية الرئيسية فيها وقد استطاع الكاتب أن يحصر ثلاثة أرباع القصة في نفسية أبو علي .
أبو علي هو إنسان فلسطيني خرج من دياره مُكرها خلال نكبة عام 1948 ليعيش في خيمة متواضعة على أرض خان يونس بعد أن كان يعيش في بلده معززا مكرما وشخصية ابو علي أصابها ما أصاب كل الفلسطينيين الذين شُردوا من ديارهم مُكرهين ليعيشوا عيشة البأس والحرمان ولكن ما يميز (أبو علي) عن اغلب إخوانه الفلسطينيين هو تفكيره العميق لما حدث هم وتحولهم من الدار والبيارة إلى الخيمة الصغيرة .
ينظر أبو علي إلى الطابور الذي يصطف به لاستلام خيمته , ذلك الطابور الطويل اللعين الذي لا ينتهي ومن خلال وقفته في ذلك الطابور تدور جميع أحداث الرواية في نفسية أبو علي المحطمة وتفكيره العميق بمصيره ومصير أولاده وما سيحدث لهم .
فهو يفكر هل سينتهي ذلك الطابور اللعين أم لا وما هي نوع الخيمة التي ستكون من نصيبه هل هي خيمة (كوخ) أم (جنزير) أم (برشوت) فهو يرتاح نوعا ما للكوخ لأنه يستطيع يقسمها إلى قسمين .
وبعد أن يمل من تفكيره العميق هذا يتحول إلى تفكير أعمق وهو انه حتى لو حصل على الخيمة التي يريدها ونوعها الذي يرتاح إليه هل بعد ذلك سينتهي قطار الآلام والأحزان والمعاناة لذلك يرفض أبو علي في النهاية أن يستلم خيمته ويرضى بالعيش مع أولاده في العراء ما بين السماء والأرض لولا أن الموزع في اللحظة الأخيرة ينادى على اسمه قبل أن ينصرف .
من خلال الحديث عن شخصية أبو علي نلاحظ أن الكاتب وضح لنا سمات هذه الشخصية فهي شخصية عريقة متأزمة من الوضع الحالي بعد أن كان ينعم في بلاده وهي شخصية حنونة متحملة للمسؤولية وذلك من خلال حرصه على أسرته وخوفه عليها فهو يفكر في نوع الخيمة وهل ستحميه من الغبار والأتربة , كما اتضح لنا أنها شخصية ذات تفكير وبعيد لأنه اقنع نفسه بأن حصوله على الخيمة لان يحل المشكلة ولن يتوقف قطار المعاناة .
هذه هي أهم سمات شخصية (أبو علي) وقد استطاع الكاتب أن يكشف عنها من خلال عدة طرق الكشف المتعددة وهي :
كشف الكاتب لاسم الشخصية في نهاية القصة حيث ظل اسم (حسن الحاج علي) مجهولا من بداية القصة إلى أن اقترب إلى نهايتها ليطلعنا على اسمها قبل انتهاء القصة وذلك من خلال الحوار حين نادى الموزع قائلا :
- حسن الحاج علي
- الأسرة سبعة أفراد , خيمة جرس
وقد استطاع الكاتب أن يبرز لنا سمات هذه الشخصية من خلال الكشف حيث وقع صراع داخلي في شخصية (أبو علي) وكأن أبو علي شخصين وليس شخص واحد يتبادلان الحوار من أجل الوصول ألى حل موحد , من خلال ذلك الحوار الداخلي للشخصية كشف لنا الكاتب عن سمات تلك الشخصية .
فأبو علي الذي تأزم من الوضع الذي آل إليه مع أسرته هو بالتأكيد شخصية عريقة لها طموح وأبو علي الذي يخشى من عدم إمكانية الخيمة من صد الغبار والرياح هو بالتأكيد شخص متحمل للمسؤولية يخاف على أسرته وأبو علي الذي يرفض أن يستلم الخيمة هو بالتأكيد شخص ذو تعميق لا ينظر تحت أقدامه بل ينظر إلى أبعد من ذلك .
أما لو أردنا تقويم الشخصية في شخصية واقعية تمثل كل معاناة الفلسطينيين بعد نكبة عام 1948 والصراع النفسي الذي عاشوه من أجل العودة للأراضي المحتلة .
2- شخصية أبو حسن : والتي لا تختلف كثيرا في القصة عن شخصية أبو علي ولم يكن لها دور كبير في القصة سواء في الأحداث أو في الحوار فهي لم تتفوه بكلمة ولم تشترك في الأحداث سوى استلام الخيمة فقط .
3- شخصية أبو مصطفى وهي شخصية ضعيفة الى حد ما ولا تمتلك تفكير عميق فهمها الأكبر هو الحصول على الخيمة لا أكثر بغض النظر عن نوع الخيمة أو حتى عن قدرة الخيمة على صد الغبار والرياح .
4- أما الشخصية الأخيرة وهي (الموزع) والتي لم يكن لها دور كبير في القصة سوى ان تنادى على الأسماء لاستلام خيامهم وقد كشف عنها الكاتب من خلال الحوار بقوله : حسن الحاج علي الأسرة سبعة أفراد , خيمة جرس .

ثانيا / الحبكة :-
وهي عبارة عن البناء الهندسي للقصة , ويبدأ الكاتب قصته بعرض الأحداث وهي عبارة عن طابور طويل جدا يقف فيه حسن لاستلام خيمته ولكن طول المدة الزمنية وعدم وصول دور حسن لاستلام خيمته أدى إلى دخول الشخصية في صراع نفسي مع الواقع المرير والوضع الصعب لتسير الحبكة باتجاه الحدث الصاعد وهو الصراع المرير داخل الشخصية من خلال التفكير الشاق :
- هل سينتهي ذلك الطابور اللعين .
- أين خيمة اليوم من خيمة الرحلة إلى روبن .
- ما نوع الخيمة التي ستكون من نصيبه
- هل ستحمي تلك الخيمة أسرته من الغبار والرياح
من خلال تلك الأسئلة المكثفة في ذهن حسن تظل الشخصية في صراع مرير , أسئلة بدون إجابات تحتاج إلى إجابات لكي يشفى غليلها ولكن دون جدوى ليصل الصراع الى ذروته في نفسية بطل القصة وينتهي به إلى طريق مسدود وهو :
هل الخيمة التي سيحصل عليها - مهما كان نوعها - ستنهي قطار الآلام والمعاناة ؟
ضاع كل شيء (الدار- البيارة) فماذا ستفيد الخيمة بعد كل ما ضاع .
فيقرر البطل في قمة صراعه مع نفسه ألا يستلم الخيمة ويرضى بأن يعيش ما بين السماء والأرض .
ولكن سرعان ما تتجه أحداث القصة باتجاه الحدث النازل وذلك من خلال صوت الموزع :
- حسن الحاج علي
- العائلة سبعة أفراد , خيمة جرس
ومن ثم ينطفئ التوتر والصراع داخل شخصية حسن ليصل به إلى الحل وهو حصوله على الخيمة .
ولكني أرى انه بالرغم من هذا الحل وحصول حسن على خيمته إلا انه يظل حلا مؤقتا لان الخيمة لن تعوضه عن موطنه فلسطين .
ومن خلال ما سبق نستطيع أن نصنف هذه الحبكة تحت إطار الحبكة الناجحة فبعد الصراع المرير الذي واجهته الشخصية مع نفسها تصل في النهاية إلى غرضها ولكن هذا الحل -كما أسلفت – حلا مؤقتا .
أما بالنسبة لتنظيم الحبكة فقد مزج الكاتب بين طريقتين : الزمن التاريخي والزمن النفسي , فالزمن التاريخي يظهر من بداية القصة حيث وقوفه في طابور الانتظار ليصل في نهاية القصة إلى خيمته , والزمن النفسي يظهر في ابتعاد الكاتب عن أحداث الزمن التاريخي طوال فترة القصة ليغوص داخل الشخصية ويحلل الصراعات والتناقضات الكامنة فيها .

ثالثا / الزمان والمكان :-
الزمان هو بعد نكبة فلسطين عم 1948مباشرة والمكان هو اللجوء الفلسطيني في خان يونس .
يشكل الانتظار عنصراً مهماً في هذه القصة حيث الزمن النفسي الطويل والثقيل ، يخبرنا الراوي أن رجلاً ينتظر استلام خيمة لإيواء أسرته ، ولكنه يعود كل يوم خائباً لأن الخيام تنتهي قبل أن يصله الدور ، من خلال سيال الوعي يفكر الرجل في نوع الخيمة التي قد يتسلمها ، كما يتذكر رحلاته إلى منطقة روبين قبل النكبة ، وكيف كانت الخيمة وقتها مصدراً للمتعة والراحة والتخفف من روتين الحياة الممل .
لقد خدعت الجامعة العربية الفلسطينيين حين جعلتهم يعتقدون أن مغادرتهم للوطن لن تطول أكثر من أسبوع أو بضعة أسابيع ، وقد أخذ الزمن يمر دون أن تظهر أية بادرة للعودة المرتقبة .
يعيش حسن الحاج على حالة من الصراع النفسي ، فهو متردد بين استلام الخيمة أو رفضها ، ولكنه يقرر في النهاية أن يتسلم الخيمة كي يوفر المأوى لأسرته قبل أن يعود إلى أرض الوطن .
تشكل الخيمة هنا رمزاً للمعاناة وللمكان غير المستقر ، ويتحول الزمن - وهو زمن النكبة حيث غادر الفلسطينيون منازلهم على أمل العودة إليها في أقرب وقت ، - إلى كابوس من الانتظار المر.

رابعاً / وجهة نظر الراوي :-
يمكن لنا تصنيف الراوي في هذه القصة إلى الراوي كلي العلم فهو يمتلك حرية الحركة والتنقل بين مختلف معالم الشخصية ولكن الراوي إذا اتبع ذلك فقط يكون راوي إخباري بحت وهذا ما لم يتبعه الكاتب محمد أيوب حيث انه كان ينتقل من السرد إلى حوار الشخصية (حسن) مع نفسها تارة وتارة أخرى مع إخوانه المشردين وبذلك ابعد نفسه عن مغبة الوقوع في هاوية الإخبار البحت .
وقد نجح الكاتب أيما في الكشف عن مكنونات شخصية البطل من خلال الغوص في أعماقها وتصويرها من الداخل في صراعاتها المريرة .